669330 ـ ما المقصود من قوله في الحديث (فليقل خيرا أو ليصمت)؟

السؤال

أريد حديث (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) مع الشرح؟

ملخص الإجابة

نصوص الكتاب والسنة متعاضدة؛ على أن المؤمن الصادق الطالب للنجاة يوم القيامة لا ينطق إلا بما يرجو أن يجده في كتاب حسناته؛ وإلا سكت فهو أسلم له.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

روى البخاري (6475)، ومسلم (47): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ).

وبوّب عليه الإمام البخاري بقوله: " بابُ حِفْظِ اللِّسَانِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" انتهى.

وقد بيّن هذا الحديث الجليل: أن الإيمان الصحيح والاعتقاد بأن الله يعدّ على العبد أقواله، يهدي صاحبه إلى الاحتراز من كلامه ومنطقه، وأن يزن كلامه قبل قوله؛ فإن وجد خيرا، تكلم به. وإلا، أمسك، حفاظا على إيمانه أن يسلم منه شيء من جراء لسانه.

قال ابن رجب، رحمه الله:

"فقوله صلى الله عليه وسلم: مَنْ كان يؤمِنُ باللهِ واليوم الآخر فليفعل كذا وكذا، يدلُّ على أنَّ هذه الخصال مِنْ خصال الإيمان". انتهى، من جامع العلوم والحكم (ص315 ت الفحل).

ثم قال: "فقوله صلى الله عليه وسلم: فليقل خيراً أو ليصمُت أمر بقول الخير، وبالصمت عمَّا عداه، وهذا يدلُّ على أنَّه ليس هناك كلام يستوي قولُه والصمت عنه، بل إمَّا أنْ يكون خيراً، فيكون مأموراً بقوله، وإمَّا أنْ يكون غير خير، فيكون مأموراً بالصمت عنه".

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله تعالى:

"وقوله: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) يعني: أنّ المصدّق بالثّواب والعقاب المُترتّبين على الكلام في الدّار الآخرة لا يخلو من إحدى الحالتين. إمّا أن يتكلّم بما يحصل له ثوابا وخيرا فيغنم، أو يسكت عن شيء يجلب له عقابا وشرّا فيسلم...

وقد أكثر النّاس في تفصيل آفات الكلام، وهي أكثر من أن تدخل تحت حصر ونظام.

وحاصل ذلك: أنّ آفات اللّسان أسرع الآفات للإنسان، وأعظمها في الهلاك والخسران.

فالأصل: ملازمة الصّمت إلى أن تتحقّق السّلامة من الآفات، والحصول على الخيرات، فحينئذ تخرج تلك الكلمة مخطومة وبأزمّة التّقوى مزمومة. والله الموفق" انتهى. "المفهم" (5 / 199).

وقد قال الله تعالى:

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ق (18).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

"مَا يَلْفِظُ أي: ابن آدم مِنْ قَوْلٍ أي: ما يتكلّم بكلمة إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ أي: إلّا ولها من يرقبها معدّ لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة، كما قال تعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ* كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ" انتهى. "تفسير ابن كثير" (7 / 11).

فمن تيقّن أنه محاسب على لسانه حفظه وأمسكه فلم يطلقه إلا في خير.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

"وأما اللّفظات، فحفظها بأن لا يُخرِجَ لفظة ضائعة، بل لا يتكلّم إلّا فيما يرجو فيه الرّبح والزّيادة في دينه. فإذا أراد أن يتكلّم بالكلمة نظر: هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر: هل يفوته بها كلمة هي أربح منها، فلا يضيّعها بهذه" انتهى. "الداء والدواء" (ص363).

والخير الذي أمر بقوله في الحديث: يدخل فيه الخير الواجب، والخير المستحب، ويدخل فيه أيضا: ما هو مباح في أصله؛ لكنه يقود إلى الخير، كملاطفة الضيف والجليس والأهل بالمباح من الكلام حتى يستأنس ولا يشعر بأنه قد أثقل على صاحب البيت أو على جليسه أو على أهله.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

"تحدّث الناس بعضهم إلى بعض من طريق السلف؛ لأنّ الإنسان لابد أن يتكلّم مع النّاس فهو مدني بالطّبع، ومن ثمّ نرى الرّجل إذا كان منزويا لا يحدّث النّاس ولا يحدّثونه، نجد أنّه يكون في نفسه انقباض، ولو أنّه انطلق لكان خيرا له.

فإن قال قائل: كثرة الكلام يخشى منها؛ لأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

فالجواب: أنّ الخير نوعان: خير في ذات الكلام؛ كالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والتّسبيح، وما أشبه ذلك، وخير لغيره ـ يعني: لغير ذات الكلام ـ وهو أن يكون الكلام من الكلام المباح لكنّه يريد أن يحدّث إخوانه لإدخال السّرور عليهم والانبساط فهذا خير، حتى لو كان مضمون الكلام ليس خيرا في ذاته؛ لأنّ إدخال السّرور على إخوانه من الأشياء المطلوبة التي يثاب الإنسان عليها" انتهى. "فتح ذي الجلال والإكرام" (1 / 618).

وللفائدة تحسن مطالعة جواب السؤال رقم: (644348)، ورقم: (333555).

والله أعلم.